

تتبع ثقافة العبيد في دولة الإمارات العربية المتحدة

وليد ياسين التكريتي

ملخص: نشأت ثقافة العُبيد في جنوبي وادي الرافدين في الألف الخامسة قبل الميلاد، وإمتدت لتغطي مناطق من شمال وشمال شرقي سوريا، وجنوب غربي إيران، والساحل الشرقي للجزيرة العربية، بما في ذلك جزيرة البحرين وقطر. وفي هذا البحث يحاول الكاتب أن يتتبع آثار تلك الثقافة في دولة الإمارات العربية المتحدة، إذ إن أول إشارة إلى احتمال وجود آثار من تلك الثقافة فيها، وردت في عام ١٩٨٥، من قبل الكاتب نفسه. إضافة إلى موقع مفرق الحميرية في إمارة الشارقة، الذي اكتُشف من قبل الكاتب والبروفيسور موريزيو توسي، وهو أول موقع عُبيدي يكتشف في الإمارات، فإن التحريات التي أجريت في ستة من المواقع العُبيدية الأخرى، التي جرى اكتشافها منذ ذلك الحين، قد تناولها هذا البحث. والمعروف أن منشأ فخار العبيد، الذي يرجع إلى عصر دوري العبيد ٣ و ٤، هو وادي الرافدين. أما الفخار، الذي يرجع إلى عصر العبيد من الدورين ١ و ٢، فلم يتم التحقق من اكتشافه بشكل قاطع في منطقة الخليج بعد، على الرغم من أن وجوده ليس بأمر مستغرب. ويتطرق هذا البحث لأول مرة، إلى احتمال كون العلاقات الحضارية مع وادي الرافدين، تعود إلى مرحلة ما قبل العبيد، إذ يعتمد الكاتب على أدلة من تل الصوان، الذي يرجع إلى ثقافة سامراء في وسط العراق. ولرسم صورة أوضح عن طبيعة تلك العلاقات، يقترح الكاتب إعادة تقييم المكتشفات الأثرية، التي ترجع إلى عصر العبيد ١ و ٢، وكذلك تلك التي من عصر سامراء في وادي الرافدين، من أجل التعرف على العناصر الخليجية الموجودة فيها، بدلاً من البحث في طبيعة تلك العلاقات، من خلال منطقة الخليج العربي فقط.

Abstract. The Ubaid Culture originated in southern Mesopotamia during the 5th millennium BC and extended to cover north and northeast Syria, southwest Iran and the western coast of the Arabian Gulf including Bahrain and Qatar. This manuscript traces the presence of the Ubaid culture in the United Arab Emirates. First reference to the presence of this culture in the Emirates was made in 1985 by the author. In addition to the site of Mafraq al Hamriyah in Sharjah, the first Ubaid site located by Tosi and the author, explorations carried out on six more sites of the same date are summarised. It is known that the painted pottery from Ubaid 3 and 4 discovered in the Gulf Region is of Mesopotamian origin. The pottery from Ubaid 1 and 2 has not yet been firmly confirmed though its existence in the Gulf Region would be of no surprise. Association between Mesopotamia and the Gulf region, prior to the Ubaid Period, has been discussed using evidence from Tell es-Sawwan of the Samarra culture in central Iraq. To understand the history of this association, this subject requires a re-evaluation of the discoveries belonging to Ubaid 1 and 2 and those of the Samarra culture from Iraq, rather than looking for association in the Gulf Region alone.

أور في محافظة ذي قار (الناصرية)، جنوبي العراق. وقد انتشرت آثار هذه الثقافة، التي تغطي في بلاد وادي الرافدين حقبة الألف الخامس قبل الميلاد، في أماكن أخرى من منطقة المشرق العربي، حيث امتدت لتغطي الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من سوريا، والمناطق الجنوبية الغربية من إيران. وقبل ما يزيد عن ثلاثة عقود بقليل، اكتُشف فخار تلك

في الفترة التي أعقبت ثقافة سامراء في بلاد وادي الرافدين، والتي كانت قد سادت في النصف الثاني من الألف السادس قبل الميلاد، بدأت بالظهور ثقافة جديدة تُسمى: "ثقافة العُبيد" (تلفظ بضم العين). وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الموقع الأثري، الذي اكتشفت فيه معالم تلك الثقافة لأول مرة في عام ١٩١٩، وهو "تل العُبيد"، الواقع قرب مدينة

(Burkholder: 1972, 264-269). ومنذ ذلك الحين أجرى عدد من الآثاريين مزيداً من البحوث والدراسات، ويأتي على رأس هؤلاء الدكتور عبدالله مصري، الذي أعدّ رسالته للدكتوراه عن هذا الموضوع، كما نقّب، كذلك، في ثلاثة من المواقع المكتشفة (Masry: 1974). ومن خلال كتاب مصري، الذي صدر في عام ١٩٧٤، فقد نوقش التفاعل الحضاري ما بين الجزيرة العربية وبلاد وادي الرافدين، وما يزال هذا الكتاب يُعدُّ المرجع الرئيس عن فترة العُبيد، في المملكة العربية السعودية. وعلى الرغم من أن الاكتشافات الأثرية في شرقي الجزيرة العربية، كانت قد سبقت ما قام به الدكتور مصري، إلا أنها كانت اكتشافات متواضعة، لم ترقَ إلى درجة العمل الآثاري الصحيح، باستثناء مسح البعثة الدنمركية في الستينيات من القرن الماضي (Kapel: 1968, 64)، الذي أسفر عن العثور على مواقع عبيدية، تناولها الدكتور مصري في دراسته كذلك.

ومما يميّز المواقع العُبيدية المكتشفة في شرقي المملكة العربية السعودية، ويقرب عددها من الأربعين موقعاً، هو وجود عددٍ منها في مناطق بعيدة عن البحر (الشكل ١). وهذه المواقع، كانت في الحقيقة، تقع على حافات خيران (جمع خور)، وكانت في الأصل متصلة بالبحر، أو على ضفاف بحيرات، جفّت بمرور الزمن وتحولت إلى سبخات.

لقد عُثر على كميات من الفخار العُبيدي، الملون وغير الملون، وعلى الكثير من الآلات والأدوات المصنوعة من حجر الصوان، بينما لم يعثر على المناجل، التي تستخدم في حصد المزروعات ما يشير إلى أن مجتمع العُبيد، في شرق الجزيرة العربية، لم يكن مجتمعاً زراعياً. وفي الوقت الذي غابت فيه المناجل، عُثر على أدوات السّحق والسّهام والأنصال الحجرية والمسنات، التي تستعمل في شحذ السكاكين، كما عثر على كميات غير قليلة من الخرز وأدوات الزينة الأخرى (Masry: ibid).

ومن أهم المواقع المكتشفة في شرقي المملكة العربية السعودية، موقع "الدوسرية"، في المنطقة الساحلية الوسطى إلى الجنوب قليلاً من مدينة الجبيل، شمالي الظهران، وهو على بعد كيلومتر ونصف فقط عن ساحل البحر. وكذلك، موقع "عين قناص" في منطقة بقيق، ويبعد، اليوم، حوالي ٦٠

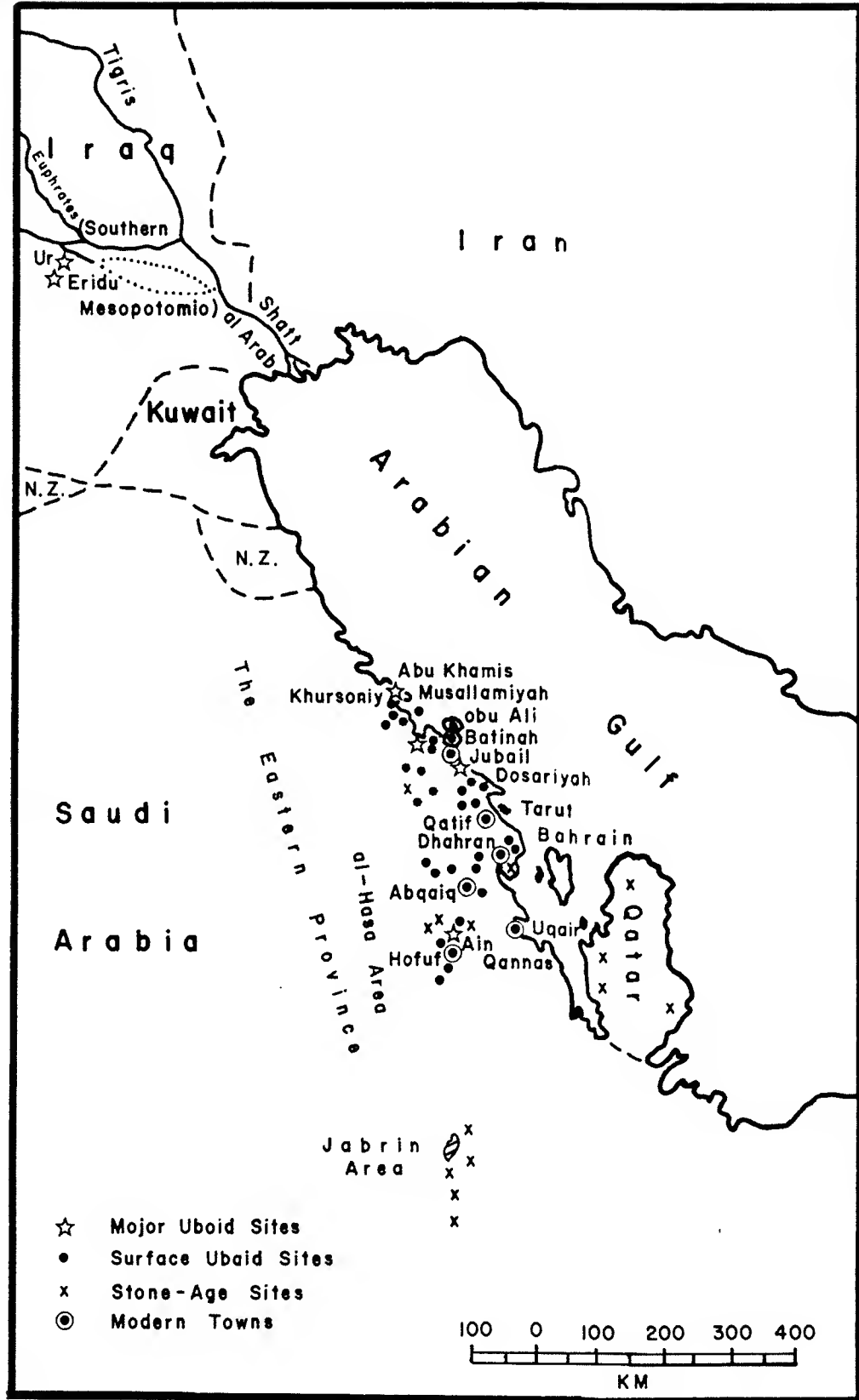
الثقافة في مواقع أثرية، تقع على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي.

وقبل أن نتبع ثقافة العُبيد في دولة الإمارات العربية المتحدة، لا بد -أولاً- من الإشارة إلى عناصر تلك الثقافة في موطنها الأصلي، ثم تناولها في منطقة الخليج العربي، دون الاسهاب في ذلك.

ينقسم عصر العُبيد في بلاد وادي الرافدين إلى أربع حقبة، هي: العُبيد ١، والعُبيد ٢، والعُبيد ٣، والعُبيد ٤. ويُعد العُبيد ١ الأقدم، وقد اكتُشفت معالمه في الطبقات الأسفل من موقع أريدو، في جنوبي العراق^(١). أما العُبيد ٢، فقد تميّز بأنواع من الفخار تُسمى: "فخار حاج محمد"، نسبة إلى اسم الموقع الذي اكتشف فيه، وهو فخار أكثر شيوعاً من فخار العُبيد ١ (Oates: 1978). وبينما اقتصر وجود فخار هاتين الحقتين في جنوبي العراق، وربما في وسطه كذلك، فإن فخار الحقتين الآخرين (العُبيد ٣ و ٤) معروف في المناطق الشمالية من بلاد وادي الرافدين وكذلك في الشمال الشرقي من سوريا، كما انتشر في جنوب غربي إيران وفي منطقة الخليج العربي. وتميّزت مرحلة العُبيد في وادي الرافدين بالعمائر الدينية والمدنية، وهي ليست موضوع هذا البحث؛ بينما تأتي صناعة الفخار على رأس قائمة الصناعات والفنون لتلك الحقبة.

وعلى الرغم من أن فخار العُبيد متعدد الأشكال والزخرفة ويختلف من دور لآخر، نستطيع القول إنه -في العادة- ملون بلون واحد، هو الأسود المائل إلى البني، أو الأحمر الفاتح، أو البني، ولا يجتمع لوان على إناء واحد. أما لون الطينة، فيكون مائلاً إلى الاخضرار، في أغلب الأحيان. وفخار العُبيد محروق بدرجة حرارة عالية، إذ تبدو الكسر الفخارية صلبة إذا ما قورنت بأنواع كثيرة من الفخاريات الأخرى، وهو مصنوع من طينة قليلة الشوائب. وكما سبق، فإنه يختلف من دور لآخر، ضمن أدواره الأربعة.

وبينما تم التعرف على فخار العُبيد في بلاد وادي الرافدين، خلال العقود الأولى من القرن الماضي، فإنه لم يكتشف في منطقة الخليج إلا في الستينيات من ذلك القرن، وذلك حين عثرت السيدة جريس بوركهولدر، التي كانت مقيمة في الظهران، على مجموعة من هذا الفخار، في أكثر من موقع شرقي المملكة العربية السعودية، في عام ١٩٦٩



الشكل ١: الساحل الغربي للخليج العربي، مبين عليه مواقع العبيد وبعض مواقع العصر الحجري، (نقلًا عن عبد الله مصري ١٩٧٤).

نقبت فيه الآثار البريطانية بيارترس دي كاردي فيما بعد (de Cardi 1978). كما اكتشف فريق فرنسي موقعين آخرين، في منطقة الساحل الشرقي لشبه جزيرة قطر. وقد تبين كذلك أن واحداً من المواقع الحجرية، التي سبق اكتشافها من قبل البعثة الدنمركية في الستينات من القرن العشرين، على الأقل، يعود إلى عصر العُبيد. ويعد موقع الدعاسة، على الساحل الغربي من شبه جزيرة قطر، أحد المواقع المهمة هناك حيث عُثر فيه من خلال بعض الحفائر، التي أجرتها بعثة بريطانية، على طبقة رقيقة من الدفن المشغول. ومن خلال التنقيب، عُثر على تسع وعشرين كسرة من الفخار تعود إلى دور العُبيد الثالث، إضافة إلى عدد أكبر من الكسر، التي تعود إلى ما بعد ذلك بقليل. أما موقع رأس أباروك، على بعد ٤٠ كيلومتراً إلى الشمال من موقع الدعاسة، والذي سبق اكتشافه من قبل بعثة الآثار الدنمركية، فيقع على هضبة قليلة الارتفاع، ويبعد مسافة لا تزيد عن كيلومترين عن ساحل البحر. وقد اختبر من قبل البعثة البريطانية بواسطة خندق تجريبي، كشف عن كمية قليلة من الفخار، الذي يرجع إلى عصر العُبيد؛ ولكنه أحدث من الفخار المكتشف في موقع الدعاسة (Smith: 1978: 84). أما في منطقة الخور، على الساحل الشرقي لقطر، فقد اكتشفت البعثة الفرنسية، في سبعينات القرن الماضي، موقعين من عصر العُبيد، على الأقل، يوصف أحدهما بكونه ورشة لصنع الآلات الحجرية ذات الوجهين، كما اكتشفت فيه كسر قليلة من الفخار العُبيدي المتأخر.

كان عقدا الستينات والسبعينات من القرن العشرين، عقدي اكتشاف العُبيد في كل من: المملكة العربية السعودية، والبحرين، وقطر. ولم يكتشف -آنذاك - أي موقع من ذلك العصر في دولة الكويت، أو في دولة الإمارات، حيث بقيت آثار تلك الثقافة غير معروفة فيهما. كما بقيت المسافة الفاصلة بين موقع أبو خميس، في المنطقة الشمالية للساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية، وموقع أريدو، في جنوبي العراق، وهي مسافة تزيد على أكثر من ثلاثمائة كيلومتراً، منطقة مجهولة فيما يتعلق بانتشار المواقع العُبيدية فيها. ولم يستمر الأمر كذلك طويلاً، إذ عُثر على موقع عبيدي في دولة الكويت في منتصف الثمانينات، بينما ظل الشاطئ الجنوبي للخليج التابع لدولة الإمارات، والممتد من منطقة السلع قرب الحدود

كيلومتراً عن الساحل؛ ولكنه كان متصلاً بالبحر قبل ستة آلاف عام، حيث يقع على شاطئ بحيرة جافة. وتمثلت المواد الأثرية، التي كانت على السطح قبل التنقيب، في عدد قليل من الكسر الفخارية^(٢)، وهي في الأصل أجزاء من أوان عريضة الفوهات. وبالمقارنة مع موقع الدوسرية، فإن الفخاريات المكتشفة في موقع عين قناص قليلة، وذلك لأن هواة الآثار، غالباً، ما يمارسون هوايتهم على حساب الحقيقة العلمية، ومن ثم فإن الكثير من الأدلة العلمية قد ضاعت بفعل المسوحات غير الشرعية، التي ما تزال تمارس للأسف في مناطق متعددة من دول الخليج.

وجدير بالذكر أن هنالك مواقع عبيدية أخرى، في بعض الجزر الكائنة إلى الجنوب والجنوب الغربي من موقع "أبو خميس"، مثل جزيرتي المسلمية وجنّه (Masry: ibid). وعلى العموم يمكن القول إن المواقع العُبيدية المكتشفة، في منطقة الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية، والمنتشرة في أماكن متعددة، لا تمثل الصورة الكاملة عن انتشار العُبيد في تلك المنطقة، على الرغم من عددها الكبير، مقارنة بالمناطق الأخرى من الخليج، وذلك بسبب الحركة العمرانية، التي شهدتها المنطقة. يضاف إلى ذلك ضياع الشواهد الأثرية بفعل أعمال هواة الآثار الذين يكونون سبباً في تجريد المواقع الأثرية من محتوياتها السطحية.

أما في دولة البحرين، فقد تمكن فريق بريطاني ترأسه السيد مايكل رووف من اكتشاف آثار لثقافة العُبيد، بعد بضع سنين من اكتشافها في الساحل الشرقي للجزيرة العربية (Roaf 1976). ولا عجب في ذلك، إذ تُعد البحرين مركزاً لحضارة دلمون وريثة الحضارات القديمة. وعلى الساحل الغربي من جزيرة البحرين، تمكن رووف من اكتشاف موقع أثري يُسمى "المرخ"، ولا يفصله عن البحر اليوم إلا مسافة كيلومتر ونصف فقط، تغطيها أرض سبخة لم تكن موجودة في الأصل. ومن خلال دراسة الدكتور جون أوتس على الفخاريات المكتشفة في هذا الموقع، خلصت إلى أن تلك الفخاريات تنسب إلى العُبيد المتأخر، بل ربما يعود بعضها إلى فترة ما بعد العُبيد^(٣).

أما في قطر، فقد بلغ عدد المواقع العُبيدية المكتشفة خمسة مواقع، على أقل تقدير، يقع إحداها على الساحل الغربي وكان قد اكتشف أثناء مسح البعثة الدنمركية في عام ١٩٦١؛ ثم

حيث مواقع العُبيد، ومنطقة الخليج العربي. ونعتقد كذلك، أن مواقع عبودية أخرى على غرار الصبية، لا بد أن تُكتشف في حالة إجراء مسح مكثف في المناطق المحيطة بالصبية، وكذلك في المنطقة الفاصلة بينها وبين أقرب موقع عبيدي معروف إلى الجنوب منها، وهو موقع أبو خميس، في المملكة العربية السعودية. إن طبيعة المكتشفات الأثرية، التي توصلت إليها البعثة البريطانية، وكذلك الموقع الجغرافي لموقع الصبية، جعل المنقبون يعدونه مبدئياً ذا طبيعة تجمع بين المواقع العُبيدية العراقية، والمواقع العُبيدية الخليجية، إن صحّ التعبير^(٥).

أما في دولة الإمارات العربية المتحدة (الشكل ٢)، فقد كان اكتشاف أول دليل على وجود آثار للعبيد فيها على يد كاتب هذا المقالة، الذي تمكّن في عام ١٩٨٤، ومعه البروفيسور موريزيو توسي، من التقاط بعض الكسر الفخارية، التي ترجع إلى عصر العُبيد، من أحد المواقع الساحلية عند مفرق الحمرة في إمارة الشارقة، وإن لم يكن في الإمكان تأكيد ذلك في حينه (الشكل ٣). وكان كاتب هذا البحث قد أرشد، قبل سنتين من ذلك التاريخ، بعض الآثاريين المتخصصين في عصور ما قبل التاريخ، إلى أحد مواقع ذلك العصر. وفي الهامش رقم ٢٤ من مقالة الكاتب، المنشورة في كتاب الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة/ العدد الخامس، يطالع القارئ الفقرة الآتية:

"تشير الدلائل إلى وجود مواقع أثرية تعود إلى الألف الرابع وربما الخامس قبل الميلاد على امتداد الساحل بين إمارتي الشارقة ورأس الخيمة، حيث زار الكاتب برفقة كل من الدكتور هانس بيتر والسيد هانس جوج جيبيل أحد هذه المواقع، وهو عبارة عن تل من الأصداف البحرية (shell midden) عليه قليل من شظايا حجر الصوان الصغيرة."

"كما وأن الكاتب والأستاذ موريزيو توسي قد قاما بكشف موقع آخر، يبدو إنه يعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد، حيث عثرا فيه على كمية قليلة من الفخار ذي الطينة المخضرة. أما الفخار الملون فلم يعثر منه إلا على كسرة واحدة متناهية في الصغر لم تمكننا من البت في أمر تاريخها، رغم شبهها بفخار العُبيد. وإذا ثبت لدينا بأن هذا الموقع يعود بالفعل إلى عصر العُبيد، فإن لهذا الكشف أهمية كبيرة إذ يعني أنه أول موقع من ذلك العصر يتم اكتشافه في دولة الإمارات العربية المتحدة، علماً أن مواقع العُبيد المعروفة في وادي الرافدين قد امتدت

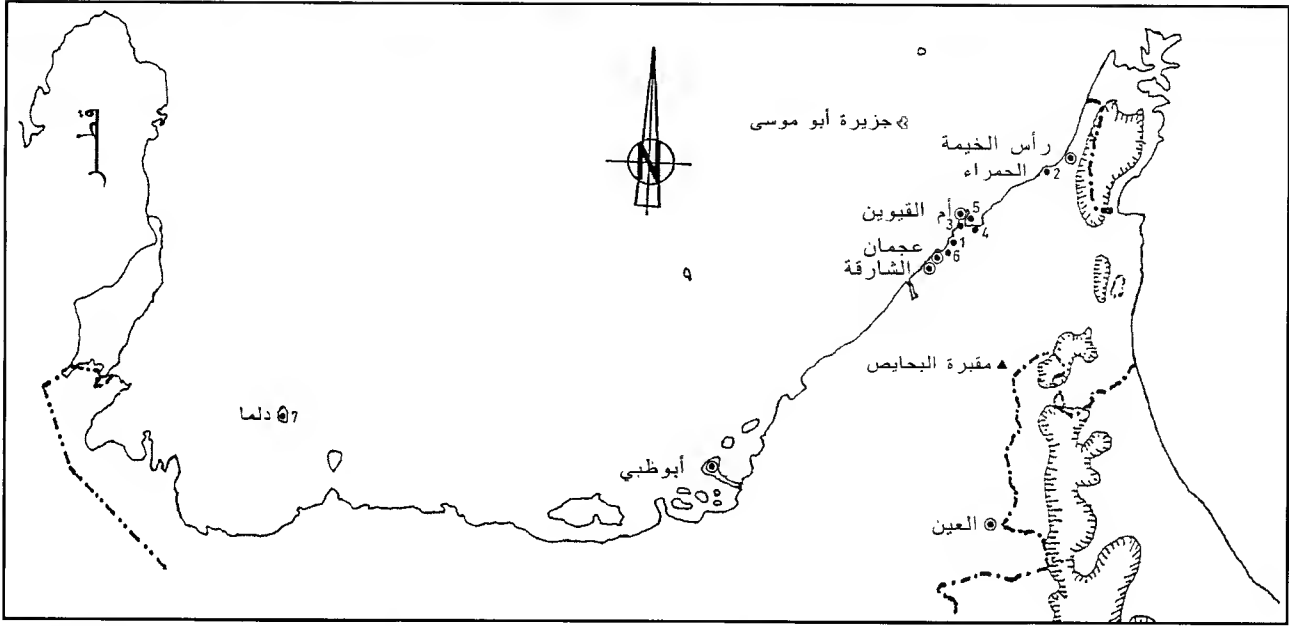
القطرية حتى شمالي مدينة رأس الخيمة، خالٍ من أي موقع أثري من ذلك العصر، حتى العام ١٩٨٣ .

وقبل أن نتبع آثار ثقافة العُبيد في دولة الإمارات، نستعرض أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها عن آثار تلك الثقافة، في دولة الكويت.

لقد اكتشف موقع عبيدي في منتصف الثمانينات، في منطقة الصبية، واهتم الدكتور فهد الوهبي (المدير السابق لإدارة الآثار والمتاحف في الكويت) بذلك الاكتشاف، نظراً لأهميته. وحين زيارة الكاتب للموقع بعد فترة قصيرة من اكتشافه، اكتشفنا عدداً من الآلات الحجرية الدقيقة الصناعة، ولاحظنا انتشار القواقع على سطحه وآثار الاستيطان، دون أن نتكّن من اكتشاف المزيد من الكسر الفخارية^(٦).

لقد أثبت التنقيب، الذي أجرته البعثة البريطانية مؤخراً في هذا الموقع، الذي يرمز إليه بـ (H3)، وبعداً من المواقع الكبيرة بحكم المساحة التي يغطيها، وتبلغ حوالي ٩٠ × ٨٠ متراً، عن أهميته على الرغم من أن المساحة التي نُقّب فيها تبلغ ١٠٤ أمتار مربعة فقط. وكشفت البعثة البريطانية عن ٥٠٩ كسر فخارية، تسع عشرة منها كانت قابلة للتمييز؛ لأنها تعود لفوهات أو قواعد أوانٍ من عصر العُبيد أو تحمل نقوشاً معروفة في ذلك العصر. فالفخاريات الملونة نسبت إلى عصر العُبيد، دون أي شك، بسبب العناصر الزخرفية التي عليها. وقد كان المنقبون أكثر دقة، إذ نسبوها إلى الدور الثالث من ذلك العصر، على الرغم من اعتقادهم باحتمال وجود فترة انتقالية بين الدورين الثاني والثالث، لم تتأكد بعد. وكانت بعض هذه الكسر في الأصل أجزاء من أطباق أو أقذاح، ذات فوهات مائلة إلى الخارج شبيهة بأخواتها المعروفة في المواقع العراقية، مثل: رأس العمية، وجوخة مامي، وتل العويلي (Carter, Crawford, Mellalieu and Barret: 1999).

إن اكتشاف موقع العُبيد في الصبية له أهميته الكبيرة، إذ يعطي الدليل على أن المواقع العُبيدية الأخرى، المنتشرة إلى الجنوب منه في مناطق الخليج الأخرى، (سبق ذكرها) هي امتداد لهذه الثقافة، وإن كان لها طابع خاص بها (خاصة فيما يتعلق بالصناعات الحجرية، ذات الطابع المتميز عن صناعة الآلات الحجرية العراقية). كما يضيّق الرقعة الجغرافية الخالية من المواقع، التي تفصل بين جنوب وادي الرافدين،



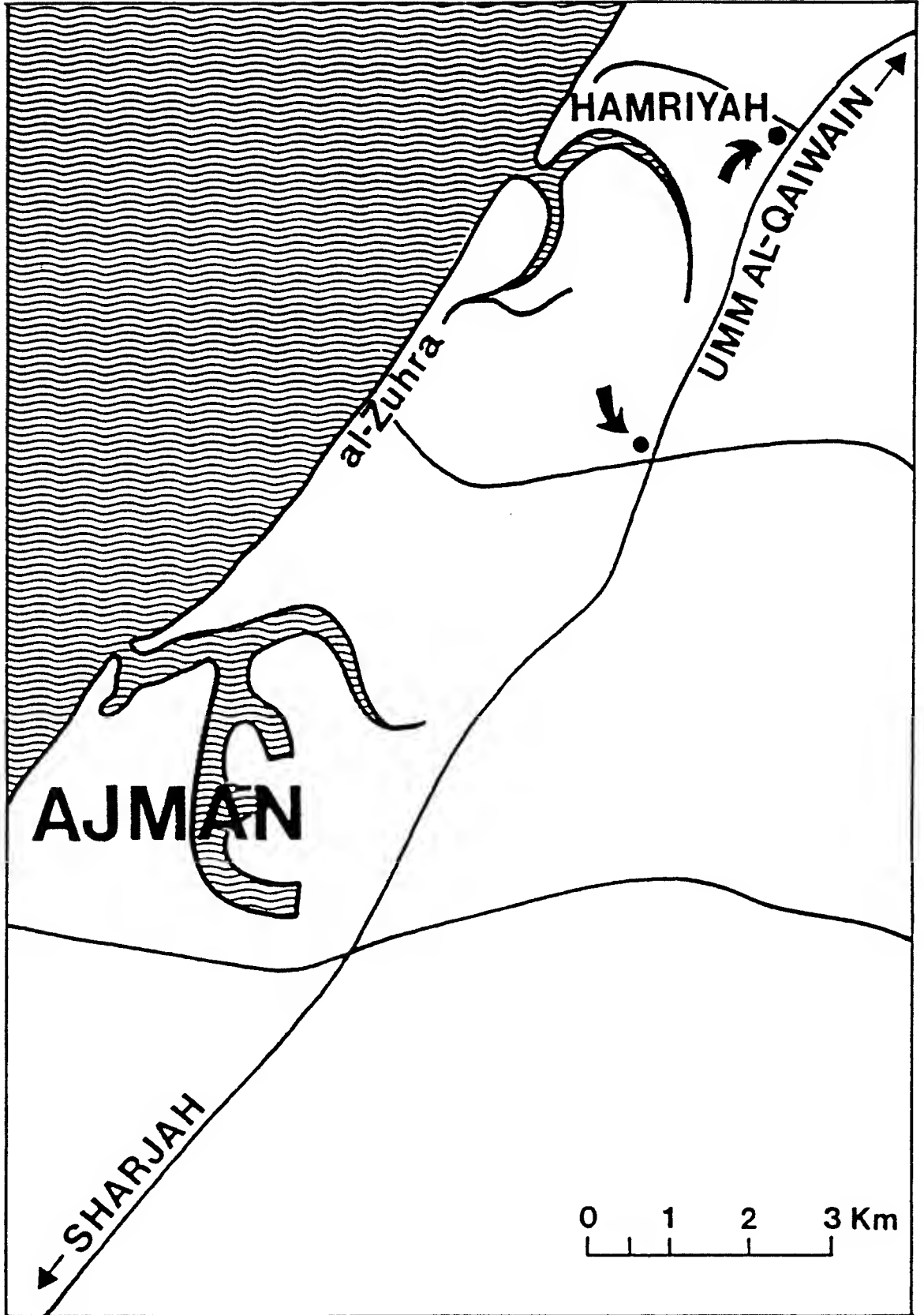
الشكل ٢ : ساحل الإمارات المطل على الخليج العربي مبين عليه مواقع العبيد : ١- موقع مضرق الحميرية ٢- موقع الحمراء رقم ٤ (ند الوليد) ٣- موقع رقم ٦٩ في أم القيوين (المدر) ٤- الموقع RA 3 5 موقع عكاب ٦- موقع الحميرية (عجمان سابقاً) ٧- موقع جزيرة دلمة.

لتغطي مناطق عديدة من الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر".

وعلى الرغم من العدد القليل من الكسر الفخارية السالفة الذكر، وكونها من الفخاريات العادية غير الملونة، فقد ثبت لديّ بأن تلك الفخاريات (الشكل ٤) هي من فخار العبيد، بدليل ما اكتشف فيما بعد من مؤشرات على ذلك. ففي شهر حزيران من عام ٢٠٠٠، تمكّن الكاتب من العثور على كسرة فخارية غير ملونة من الموقع العبيدي رقم ٦٩ في إمارة أم القيوين، الذي سيرد ذكره لاحقاً، وبمقارنة الكسر الفخارية غير الملونة موضوع البحث، مع كسرة الفخار غير الملونة المكتشفة في الموقع ٦٩، والمرافقة لفخار ملون من عصر العبيد، أستطيع القول إن تلك الفخاريات ما هي إلا فخاريات عبيدية الأصل كذلك. يضاف إلى ذلك، اكتشاف ثقالة لشبكة صيد غير مثقوبة من نوع الحصى، الذي كان معروفاً في عصر العبيد، وعدد قليل من الشظايا الصوانية، مرافقة للفخاريات غير الملونة. وعلى الرغم من أننا لم نجد بين تلك الشظايا آلات مميزة، إلا أنها تعطي مؤشراً على أن هذا الموقع يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وأنه ليس من المواقع الحديثة العهد. ومما يؤكد ذلك، أنواع القواقع التي تنتشر عليه، وتوجد -عادة-

على سطوح المواقع الأثرية، التي تعود إلى مثل تلك العصور^(٦). وقبل الحديث عن الموقع ٦٩، تجدر الإشارة، كذلك، إلى اكتشاف تل من الأصداف (shell midden) يمكن أن يكون من عصر العبيد كذلك، جنوبي جزيرة الحمراء في رأس الخيمة^(٧). وكما ذكر سابقاً، فقد أرشد كاتب هذا البحث كلاً من أوربمان وجيبيل إلى هذا الموقع، ومواقع أخرى في المنطقة نفسها؛ فاستعملنا، إثر ذلك، طريقة الإشعاع الكربوني على قوقعتين التقطتا من الموقعين ١ و ٢. وقد أظهرت طريقة التحليل الكربوني (بعد التعديل)، أن القوقعتين تعودان إلى النصف الأول من الألف الخامس قبل الميلاد.

إن الاسم الصحيح للموقع ٦٩ (السالف الذكر) هو "المدر"، ويعد أول موقع عبيدي تُكتشف فيه كسرة فخار ملونة، من عصر العبيد في دولة الإمارات (الشكل ٥)^(٨). يقع المدر بين خور أم القيوين وساحل البحر، الذي يبعد عنه كيلومتر واحد. ومن خلال الخرائط والصور الجوية القديمة، يظهر أن جزءاً من خور أم القيوين كان يمتد لمسافة قريبة من الموقع من جهته الشرقية، وقد كان في العصور القديمة محاطاً بالأراضي السبخة وأشجار القرم، التي ما يزال الكثير منها موجوداً في إمارة أم القيوين (الشكل ٦). وكانت تغطي سطح الموقع، قبل



الشكل ٣ : خريطة تبين موقع العبيد في منطقة الحميرية (عن هايرنك ١٩٩١). تم إضافة موقع مفرق الحميرية على الخريطة من قبلنا.



الشكل ٤ : كسر فخارية عبيدية غير ملونة من موقع مفرق الحميرية في الشارقة.

اكتشاف آلات حجرية من النوع الثنائي الوجوه، وقد نسبوها مبدئياً إلى نهاية الألف الخامس وبداية الألف الرابع قبل الميلاد. كما تمكّنوا من تقدير عمر الموقع من خلال تحليل عيّنة من القواقع، بواسطة طريقة التحليل الكربوني أعطت الرقم ٥٨٩٠ + / - ١٧٠ سنة قبل الحاضر (المقصود بالحاضر هو عام ١٩٥٠ م). وقد صنّفت بعض الأصناف والقواقع، التي تبين أن معظمها كان يعيش في بيئة تطفئ عليها أشجار القرم (mangroves). وقد استدل الفريقان، الفرنسي والألماني، على وجود مقبرة، من خلال بعض العظام البشرية، التي عُثِرَ عليها مبعثرة في الموقع.

وعلى الرغم من أن الحفائر، التي جرت في هذا الموقع

تعرّضه للتخريب، طبقة من القواقع البحرية، التي تنتشر بين الرمال الرمادية، أو السوداء، الناتجة بفعل أعمال الطبخ، التي شهدها الموقع منذ عصور ما قبل التاريخ. كما لاحظنا أثناء زيارتنا المتكررة للموقع وجود عظام، لحيوانات بحرية وبرية محروقة.

وبُعِيد اكتشاف هذا الموقع بقليل، نَقَبَ فريق من الآثاريين الفرنسيين فعثروا على كسرتين ملونتين من فخار العُبيد، وعدد من الكسر غير الملونة (Boucharlat and others: 1991). كما نَقَبَ في الموقع، كذلك، فريق ألماني صغير (Uerpmann and Uerpmann 1996). وإضافة إلى الفخار العُبيدي المستورد (الشكل ٧/ب)، تمكّن الفرنسيون من

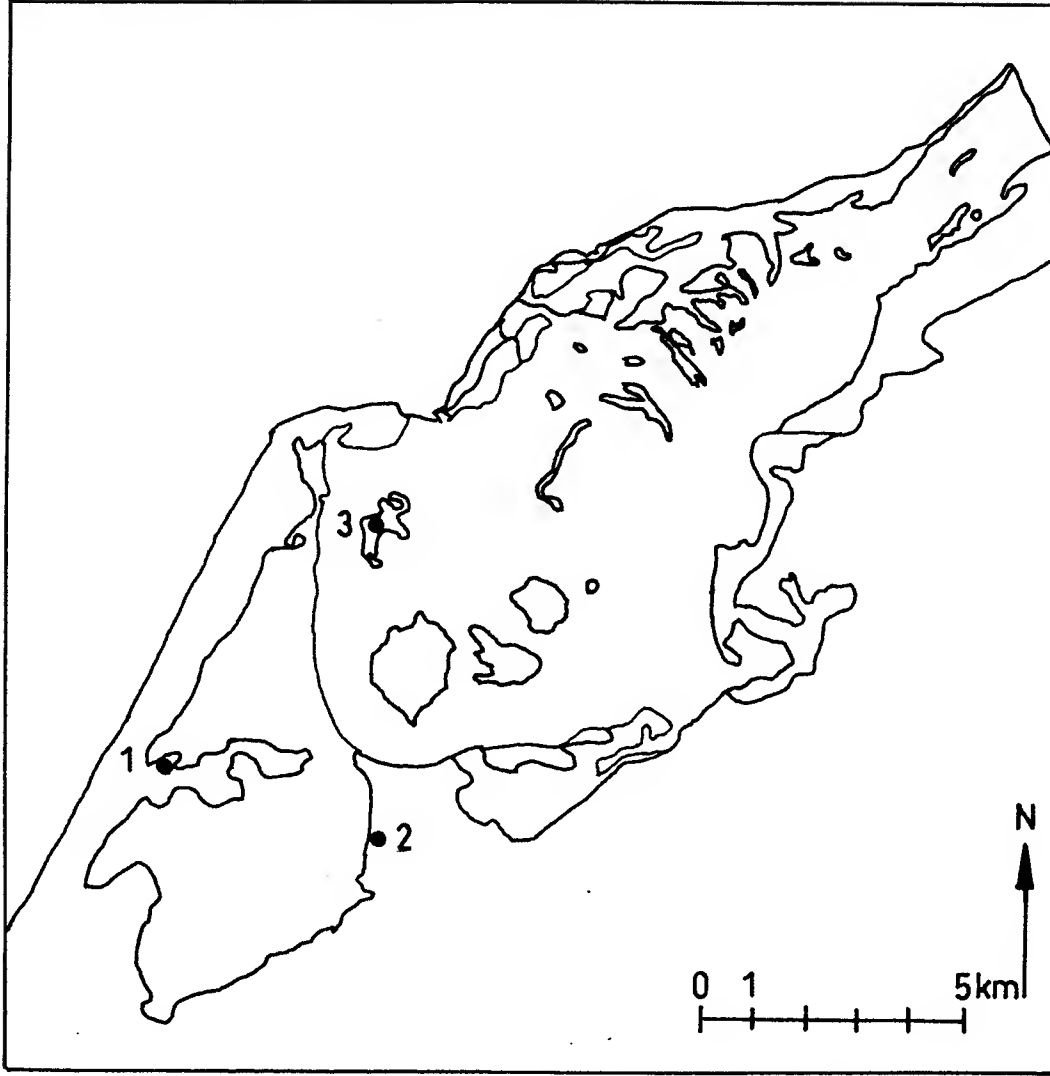


الشكل ٥ : كسرة صغيرة من فخار العبيد الملون عثر عليها الكاتب على سطح موقع العبيد ٦٩ في أم القيوين.

العبيد كذلك، على الرغم من عدم العثور على أية كسر فخارية. وقد استند في تأريخه هذا على رأس سهم من النوع، الذي غالباً ما يعثر عليه في مواقع العبيد.

وفي إحدى الجزر في خور أم القيوين، المقابلة لمبنى الديوان الأميري، والمسماة "عكاب"، اكتشف الفرنسيون وسبروا في عام ١٩٨٩ موقعاً أثرياً فيها. وعلى الرغم من عدم العثور على فخار العبيد في هذا الموقع، الذي وصف بأنه (aceramic) (أي من عصر ما قبل الفخار) حتى الآن، فإن تأريخه، حسب التحاليل المخبرية، يرجع إلى الألف الرابع ق.م^(١). لقد فسر المنقبون الكميات الكبيرة من عظام بقر البحر على أنها سبب في ارتياد هذا الموقع، في فترة وجود هذا الحيوان في منطقة الخور

كانت محدودة، بحكم طبيعته ودرجة التخریب الكبيرة التي أصابته، فهو -بالتأكيد- أحد أهم المواقع العبيدية في الإمارات الشمالية. ولم يكن موقع المدر إلا واحداً من سلسلة من مواقع ما قبل التاريخ، في منطقة خور أم القيوين. فقد عُثر على عدد من هذه المواقع على أطراف الخور من جهته الجنوبية، من خلال مسوحات البعثة الألمانية. ومن سطح أحد هذه المواقع، الذي يرمز إليه RA 3، عثر على كسرة من فخار العبيد الملون (الشكل ٧ ج/)، يمكن أن ترجع، استناداً إلى تحليل لقوقعة معاصرة لها، إلى ٥٦٢٠ قبل الحاضر (Uerpmann and Uerpmann 1996: 130). وكما يعتقد البروفيسور أوربمان، فإن الموقع RA 6 يعود إلى عصر

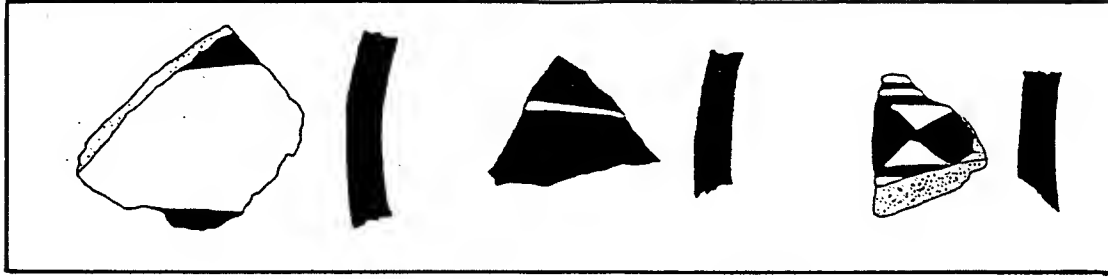


الشكل ٦ : خريطة تبين الموقع ٦٩ (المدري) و RA 3 وعكاب في أم القيوين (معدّلة عن أوريمان وأوريمان ١٩٩٦).

عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٣، وتمكّن -من دون أن يكون ذلك في الحسبان- من اكتشاف اثنين وأربعين قبراً، تعود إلى الفترة الزمنية نفسها. وتقع هذه المستوطنة قرب حدود أم القيوين مع إمارة رأس الخيمة، بمحاذاة الطريق الموصل إليها. لم تكن القبور المكتشفة -للأسف- في وضع يسمح بالتوصل إلى الكثير من الحقائق العلمية، إذ إن القليل منها فقط كان في وضعه الطبيعي؛ بينما أزيلت العظام الطويلة للهياكل الأخرى، وتحركت جماجم بعضها من أماكنها الأصلية. وعلى الرغم من ذلك، تمكن المنقب من التمييز بين ثلاثة أدوار من هذه القبور، وتمكّن، كذلك، أن ينسب تسعة منها إلى الدور السفلي. كما

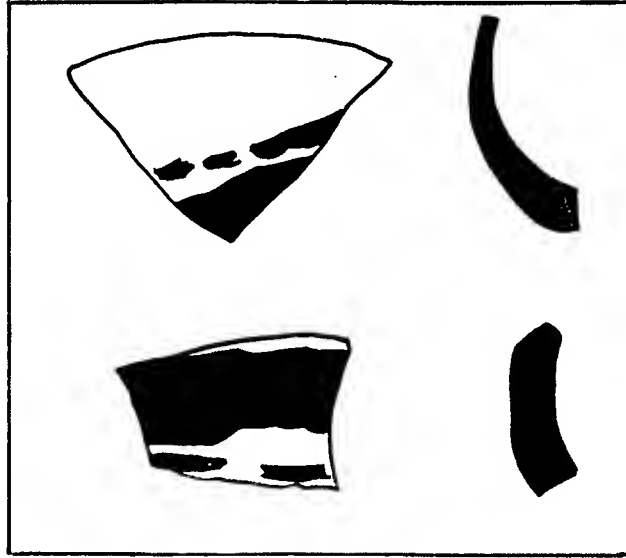
(Priour and Guerin:1991). ونظراً لأهمية هذا الموقع، ولعدم إجراء تنقيب واسع فيه عند اكتشافه، أجرى الفرنسيون المزيد من التحريات في العام ٢٠٠٢، ومن أجل التحضير لذلك، زار كل من رئيس الفريق الدكتور فيليب ماركسي، وكاتب هذه المقالة، الموقع في شهر أبريل من العام ٢٠٠١، للوقوف على حالته. وقد عثرا على الكثير من القواقع وعظام الحيوانات البحرية.

وفي إمارة أم القيوين، كذلك، اكتشفت بقايا مستوطنة من الفترة المعاصرة لفترة العُبيد، نقّب فيها السيد كارل فيليبس، الأستاذ في معهد الآثار في جامعة لندن سابقاً، وذلك في



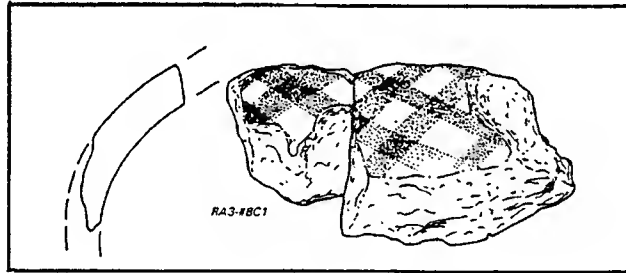
(١)

الشكل ٧ / ١: ثلاث كسر من الفخار العبيدي اكتشفت في موقع الحمراء ٤ (ند الوليد) وفي موقع الحمراء ٣٨ (نقلًا عن فوكت).



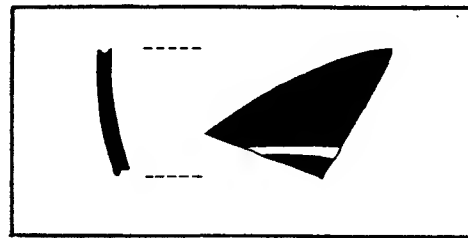
(ب)

الشكل ٧ / ٢: كسرتان من فخار العبيد الملون عثرت عليها البعثة الفرنسية في الموقع ٦٩ (نقلًا عن بوشارلات وآخرين).



(ج)

الشكل ٧ / ٣: كسرة من فخار العبيد عثر عليها في الموقع RA 3 في أم القيوين (نقلًا عن أوريمان وأوريمان ١٩٩٦).



(د)

الشكل ٧ / ٤: كسرة من فخار العبيد من موقع الحمرية (نقلًا عن هايرنك ١٩٩١).

الدور ٢-٣ (الشكل ٧ د)، وبعض الآلات الحجرية دقيقة الصنع (Haerinch: 1991). وبعد تأسيس متحف الشارقة للآثار، نقّب فريق من ذلك المتحف، يرأسه الدكتور صباح جاسم، في الموقع، كذلك، واكتشف عدداً قليلاً من كسر الفخار العُبيدي (الشكل ٨) وبعض الآلات الحجرية (Jasim: 1996). وعلى الرغم من أن الموقع يبعد عدة كيلومترات عن ساحل البحر، فقد كان قبل خمسة آلاف سنة أقرب من ذلك بكثير، بل إن هايرنك يعتقد أنه كان جزيرة تحيط بها المياه، من كل جانب. ومما يؤيد ذلك وجود الأراضي السبخة المحيطة بالموقع من جميع جوانبه، التي يعتقد أنها كانت حينذاك مغطاة بالمياه الضحلة.

لم تقتصر مواقع العُبيد على شواطئ الخليج، بل امتدت إلى الجزر القريبة من الساحل والبعيدة عنها. ومن أهم تلك الجزر، جزيرة دلم، الواقعة بين منطقة جبل الظنة وشبه جزيرة قطر، وتبعد ٤٥ كيلو متراً عن اليابسة. ففي الطرف الجنوبي من هذه الجزيرة تم العثور على أحد أهم مواقع العُبيد في دولة الإمارات (Flavin and Shepherd 1994). لقد تمكنت بعثة بريطانية تعمل في مشروع مسح الجزر التابعة للإمارة، من اكتشاف هذا الموقع قبل عشر سنوات، وهو الوحيد الذي استمر التنقيب فيه لعدة أعوام، نظراً لكبر مساحته وسمك طبقاته المشغولة، التي تبلغ المتر أو أكثر أحياناً، واشتمل الموقع على ستة أدوار (phases). وعلى الرغم من العثور على ثقب الأعمدة، الحاملة لسقوف البيوت، التي لا يُعرف شكلها بالضبط، فإن هذا الموقع يعدّ مستوطناً لمجتمع من الصيادين (hunters)، والسمّاكين (fishermen). فقد ورد في تقرير المنقّبين أن موقع دلم، يرمز إليه بـ دلم (DA 11 and DA 12)، كُشفت فيه بقايا أبنية سكنية استُدل على وجودها من كسر اللين، كما كشف عن أكوام من تلال الأصداغ، في الوقت نفسه (Beech, Elders and Shepherd 2000). ومن الجدير بالذكر، أنه لم تكتشف في المواقع المعاصرة لمرحلة العُبيد، التي اكتشفت في دولة الإمارات، أية بقايا أبنية أو عمارة فعلية من قبل؛ لذا، يمكن القول -وكما يرى المنقّبون- إن جزيرة دلم شهدت أقدم محاولة للاستيطان الدائم.

وإضافة إلى فخار العُبيد المستورد، الذي اكتشف في هذا

تبين أن عدد البالغين من تلك الهياكل هو اثنان وثلاثون (١٨ ذكراً و ١٤ أنثى)، وأن أطولهم عمراً قد عاش حوالي ٣٥ سنة فقط، في حين لم يُعثر إلا على ثلاثة صبية. ومن بقايا هذه العظام، تبين أن وضعية القرفصاء هي الطريقة التي أتبعت في دفن هؤلاء الموتى. ولا عجب في ذلك، لأنها الطريقة التي أتبعت منذ عصور ما قبل التاريخ، حتى نهاية العصر الحديدي. وفي طبقات الدفن المعاصرة لهذه المقبرة، عُثر على الكثير من العظام الحيوانية، التي يظهر على الكثير منها آثار الحرق الدالة على كونها من بقايا الطعام. وتغلب على تلك العظام، عظام الأغنام والماعز والبقر، وكذلك عظام الغزلان والمها. ومن طبقات الدفن هذه، وكذلك من المدافن نفسها، اكتشفت مجموعة صغيرة من كسر فخار العُبيد المستورد من وادي الرافدين، يعود إلى فترات العُبيد المتأخرة في الألف الخامس قبل الميلاد. وقد اكتُشف سهمان من حجر الصوان، وخرز مصنوع من الصدف والقار. كما عُثر، كذلك، على جزء من سوار مصنوع من الصدف، شبيه بتلك التي سبق اكتشافها في موقع رأس الحمراء، على خليج عمان قرب مدينة مسقط، وعلى كتلة من المغر الأحمر (كحل ٩)، ولؤلؤة عُثر عليها داخل أحد القبور (Phillips C.: forthcoming).

وفي إمارة رأس الخيمة، كشف الدكتور بوركاتر فوكت، خبير الآثار المقيم في الإمارة، سابقاً، العشرات من تلال الأصداغ، التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ. وتمثلت هذه المواقع في تلال من القواقع، التي تولدت بفضل الاستهلاك المستمر لهذا النوع من الغذاء. كما كشف عن آلات من حجر الصوان، والكثير من شظايا الصوان الناتج بفعل عملية التصنيع، التي كانت تتم في المنطقة. وعشرة من هذه التلال، على الأقل، التي تقع جميعها في منطقة جزيرة الحمراء، عُثر على عدد قليل من الكسر الفخارية العُبيدية المنشأ (الشكل ٧/ أ)، منها الملون ومنها غير الملون (Vogt B. 1994).

وفي إمارة الشارقة، عثرت البعثة البلجيكية على موقع يعود إلى عصر العُبيد في منطقة الحميرية، قرب حدودها مع إمارة عجمان. مع أن البعثة عدّته من المواقع التابعة إلى إمارة عجمان، فقد تبين فيما بعد أنه يقع ضمن حدود إمارة الشارقة^(١٠). وقد سُبر هذا الموقع من قبل الدكتور إيرني هايرنك، الذي عثر فيه على كسرتين من الفخار العُبيدي/

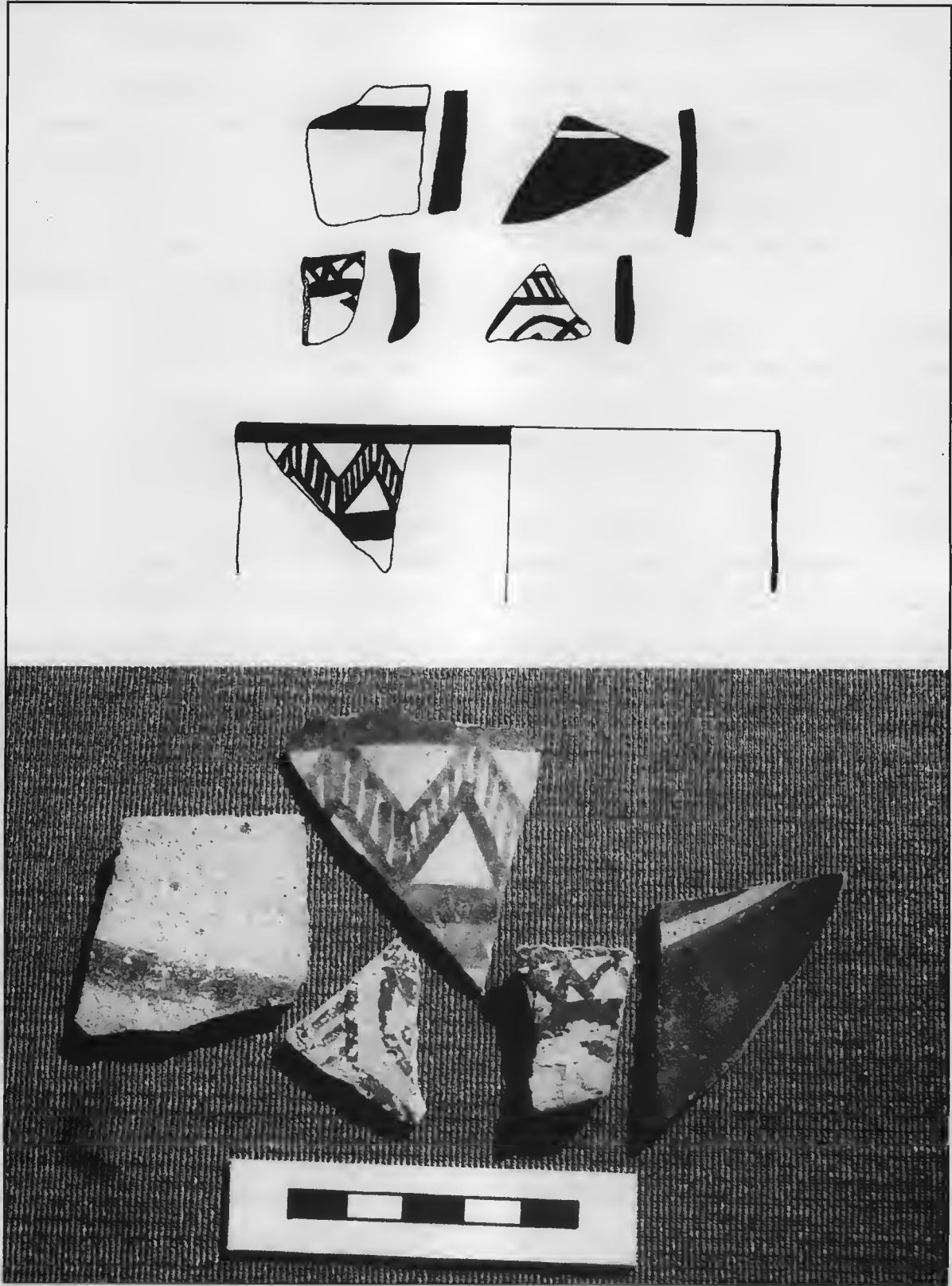
الثالثة من تل الصوان، التي ترجع إلى حضارة سامراء، يؤرخها كاتب هذا المقالة ما بين ٥١١٩ و ٥٠٣٠ ق.م، استناداً إلى خمس من العيّنات، جرى جمعها بعناية من أماكن مختلفة، من تلك الطبقة. ولما كانت تلك الطبقة معاصرة لتل المبدد الذي يبعد حوالي ٧٠ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من تل الصوان، وقد نَقَب الكاتب فيه، فإن فخار العُبيد، الذي اكتشف في المقابر الدخيلة على سطح تل المبدد، يكون بداة أحدث من تاريخ الموقع نفسه.

ويجدر القول أننا لا نعلم إن كان منقبو موقع دما قد عثروا على فخار العُبيد في الطبقة، التي أُرُخَت بالألف السادس أم لا؟ وإن كنا لا نعتقد ذلك. كما يمكن القول، كذلك، إن التفاعل الحضاري ما بين وادي الرافدين ومناطق الخليج العربي، يمكن أن يكون قد بدأ منذ عصر سامراء، وليس منذ عصر العُبيد، كما هو معروف. ولذا، فإن اكتشاف العُبيد ١ و ٢ ليس بأمر مستغرب. إن الدليل، الذي يمكن الاعتماد عليه في الوقت الحاضر، هو اكتشاف المغر الأحمر، الذي تمثل في بعض الكتل الصغيرة، وكذلك في اثنتين من اللبن المصبوغ بالمادة نفسها، في الطبقة الثالثة من تل الصوان، والذي يحتمل أن يكون مصدره جزيرة أبو موسى. يضاف إلى ذلك صدف الودع (cowrie)، الذي يمكن أن يكون قد استخدم كتعاويذ، أو كعملة، كما هو معروف في بعض مناطق أفريقيا، وبعض أنواع الأصداف الأخرى. وكذلك الخزف المصنوع من أجزاء القواقع الرفيعة والطويلة المجوّفة، وتحديد ذلك النوع الذي يطلق عليه الدنتاليا (dentalia) وقد اكتُشِف في تل الصوان بكميات غير قليلة. إن وجود الودع، وكذلك الخزف السالف الذكر، هو دليل آخر على اتصال أهل تل الصوان بالخليج العربي، ومن ثم يمكن أن نستنتج أن هناك مواد أخرى قابلة للتلف، قد جرى التبادل بها بين أعالي الخليج وأسفله، منذ عصر سامراء على أقل تقدير.

وخلاصة القول هو، أن اكتشاف موقع آخر من عصر العُبيد في المستقبل، بطبقات جيدة ومكتشفات أثرية متنوعة، ربما سيكون الفيصل في تحديد البدايات الأولى للعبيد في دولة الإمارات، أو منطقة الخليج. كما يمكن أن تساعد نتائج التنقيب في موقع الصبية في الكويت، على إلقاء الضوء على طبيعة ثقافة العُبيد في منطقة الخليج، لا سيما وأن ذلك الموقع هو الأقرب جغرافياً إلى مواقع العُبيد في جنوب العراق،

الموقع، وعدده حوالي ٥٠ كسرة فقط (الشكل ٩)، فقد كشف عن حوالي ١١٠٠ كسرة من الأواني المصنوعة من الجبس، يعتقد أن بعضاً منها قد صنع بالقالب محلياً، وأن عدداً قليلاً منها زُين بخطوط سوداء، مقلدة في ذلك الزخارف التي على الفخار (ibid: 43). ويذكر أن كسراً جبسية أخرى، معظمها مصنوع من مادة الكالساييت (calcite)، قد سبق اكتشافها في موقعي الدوسرية وأبو خميس، في المملكة العربية السعودية، وفسّرت على أنها أجزاء من الجدران أو الأرضيات. أما الفخار المكتشف في دما، فهو ذا طينة مخضرة تميل إلى اللون البني، يحمل بعضه زخارف باللون الأسود، يصفه المنقبون على أنه شديد الشبه بفخار العُبيد، المستورد من وادي الرافدين.

إن الدراسة، التي أجرتها الدكتورة جون أوتس وآخرين في السبعينات، على نماذج من كسر الفخار العُبيدي المكتشف في شرق الجزيرة العربية، تدل على أن مصدر فخار العُبيد الخليجي هو بلاد الرافدين (Oates, Davidson, kamilli and McKerrell 1977). وقد كانت أوتس أكثر دقة حين أرجعته إلى الحقبة الثالثة والرابعة، من عصر العُبيد (عبيد ٣ و ٤). وقد توصلت الدكتورة صوفي ميري، في دراستها المشتركة مع شنايدر في عام ١٩٩٦، إلى النتيجة نفسها (Mery and Schneider: 1996). ويذكر أن نواتين من التمر المتفحم قد عثر عليهما في دما، وتبين أن تاريخ إحداها (حسب طريقة الإشعاع الكربوني) يعود إلى نهاية الألف السادس قبل الميلاد (٥١١٠ +/- ١٦٠ ق.م)، بينما يعود تاريخ الثانية إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد (٤٦٧٠ +/- ١٢٠). وبناءً على التاريخ الأول، الذي يرجع إلى نهاية الألف السادس قبل الميلاد، يعدّ الدكتور مارك بيج (وهو من المنقبين الذين عملوا في هذا الموقع) موقع دما، من المواقع القديمة للعبيد إذ يرجعه إلى حقبة العُبيد الأولى والثانية (عبيد ١ و ٢). وفي رأي كاتب هذه المقالة، لا يمكن البت بهذا التاريخ في الوقت الحاضر، لعدم معرفتنا بعدد العيّنات، التي خضعت للتحليل بواسطة كربون ١٤، ولا نوع تلك العيّنات، التي يُعطي بعضها، خاصة إن كانت من الأصداف أو القواقع، نتائج أقدم من عمرها الحقيقي. كما نعتقد أن فترة العُبيد، التي شهدتها منطقة الخليج العربي، بما فيها عبيد ١ و ٢ اللذان لم يتأكد وجودهما بعد، لا يمكن أن ترجع إلى ما قبل بداية الألف الخامس ق.م بدليل أن الطبقة



الشكل ٨ : فخار عبيدي من موقع الحميرية (نقلًا عن جاسم ١٩٩٦).



الشكل ٩ : نماذج من الكسر الفخارية التي اكتشفت في جزيرة دلم (نقلاً عن البعثة البريطانية- مشروع مسح الجزر).

المقبرة، التي يرمز لها باسم "حايس ١٨"، عمرها الزمني، الذي يرجع إلى الألف الخامس قبل الميلاد، حسب التحليل الكربوني؛ وكذلك كبر مساحتها، حيث اكتشف أكثر من مائتي قبر، حتى الآن، لذكور وإناث دفنوا بطريقة القرفصاء، إضافة إلى مكتشفاتها الأثرية، التي اشتملت على الكثير من الخزف المعمول من الأصداق والقواقع، التي وجد بعضها على رقاب الإناث، أو خصورهن وأيديهن. وقد كان للؤلؤ وجود ضمن هذه المكتشفات، إذ عُثر على عدد من حبات اللؤلؤ المثقوبة كانت تزين رؤوس النساء. ومن أنواع الخزف الأخرى، عُثر على خزف العقيق الذي ينم عن تبادل تجاري.

وقد كشف التنقيب الدقيق لهذه المقبرة أنها قد استعملت لعدة أجيال، إذ تبين أن بعض حُفَر القبور القديمة قطعت بحُفَر تعود لمداخن أحدث عهداً. ومن خلال دراسة بعض الهياكل

ونقطة الوصل مع مواقع العبيد في غربي وجنوبي الخليج . ومما يؤيد صحة الاعتقاد في وجود آثار أقدم من فترة العبيد في منطقة الخليج، هو ما اكتُشف في إحدى الجزر الأخرى من المنطقة الغربية، وهي جزيرة مروّح. ففي هذه الجزيرة اكتشف موقع من عصور ما قبل التاريخ، يمكن أن يكون أقدم من مواقع العبيد إذ إن الآلات الحجرية المكتشفة وعدم العثور على الفخار، قد يكونا دليلين على ذلك. وفي هذا الموقع اكتشفت أكبر مجموعة من السهام والآلات الأخرى، المصنوعة من الصوان^(١١).

أما في منطقة جبل البحايس، الواقع في سهل المدام من إمارة الشارقة، ويبعد حوالي ٦٠ كيلو متراً عن شاطئ الخليج العربي، فقد اكتشفت مقبرة جماعية من العصر الحجري المتأخر (Late Stone Age). ومما يزيد من أهمية هذه

كل من صوفي ميري وشنايدر، تبين أن فخاريات العُبيد، التي اكتشفت في مواقع الساحل الشرقي للجزيرة العربية كان مصدرها وادي الرافدين، وأنها تعود إلى أدوار العُبيد المتأخرة، لا إلى الفترات المبكرة منه. أما الأواني المصنوعة من الجبس، فهي من الصناعة المحلية، وأريد بها أن تكون تقليداً للفخار الملون المستورد. واستناداً إلى ذلك، وإلى ما تم التوصل إليه من نتائج من قبل، فإن ظاهرة العُبيد في دولة الإمارات العربية المتحدة، وكذلك في مناطق الخليج الأخرى، يمكن أن تُفسر على أنها نتيجة تفاعل حضاري مع بلاد وادي الرافدين، منشأ الفخار العُبيدي، ويجب أن لا يُنظر إليها من جانب واحد فقط. وللتعرف على البدايات الأولى لهذا التفاعل، لا بد من إعادة تقييم المكتشفات الأثرية، التي ترجع إلى فترة العُبيد ١ و ٢ في وادي الرافدين، وتلك التي ترجع إلى حقبة الطبقة الثالثة في تل الصوان، على أقل تقدير. وعلى الرغم من هذا التفاعل، الذي يحتمل أن تعود جذوره إلى مرحلة ما قبل العُبيد، نتفق - في الوقت نفسه - مع البروفيسور أوريمان، وعدد آخر من الباحثين، على أن الصناعة الحجرية المرافقة لفخار العُبيد، التي يُطلق عليها (Arabian Bifacial Tradition)، هي صناعة خاصة بالخليج ومنطقة الجزيرة العربية، وأنها تختلف عن صناعة الآلات الحجرية من بلاد وادي الرافدين (Uerpmann and Uerpmann 1996: 131).

وعن وسيلة العيش، لا يمكن القول بأن أقوام العصور الحجرية، ممن أمكن التعرف على بعض مواقعهم حتى الآن، كانوا جامعين للقوت لا منتجين له؛ بل إنهم -حسب رأي أوريمان- كانوا رعاة وصيادين، في أن واحد. وفي اعتقاده، أن أولئك الأقوام كانوا يعتمدون على البحر كمصدر رئيسي للغذاء، على الرغم من أنهم كانوا يربون الحيوانات، كذلك.

أما فيما يتعلق بطريقة الصيد البحري، التي اتبعت في الألف الخامس قبل الميلاد، فيعتقد أوريمان أن السكان كانوا يمارسونها في المياه الضحلة، ولم تكن هناك حاجة لاستعمال القوارب لهذا الغرض. وقد استند في هذا الاستنتاج على عظام الأسماك، التي اكتشفت في الحفائر التي جرت في بعض المواقع، وهي لأسماك من النوع الذي يعيش في مثل تلك المياه. وفي كثير من الأحيان يعثر على ثقالات لشباك الصيد المصنوعة من الحصى، التي كانت تستعمل في شباك ترمى من

العظمية، تبين أن جمجمة إحدى الإناث قد شهدت عملية جراحية أزيل بموجبها ورم منها، قبل سبعة آلاف سنة (محادثة مع هانس بيتر أوريمان). وعلى الرغم من أن هذه المقبرة توصف بعبارة: (aceramic cemetery)، أي "مقبرة من عصر ما قبل الفخار"، بسبب عدم العثور على أية فخاريات فيها، فإن هذا الوصف ربما لا يكون دقيقاً، إذ إن فخار العُبيد على ندرته، كان معروفاً في المواقع الساحلية المعاصرة لتلك المقبرة. وعلى أي حال، فإن المنقبون يستعملون في بعض الأحيان مصطلح (Ubaid related sites)، أي: "المواقع المعاصرة للعُبيد"، لمثل هذه المقبرة ولمواقع أخرى مشابهة^(١٢).

الخلاصة

ما تزال الأبحاث، التي جرت في مواقع عصور ما قبل التاريخ، محدودة، بالمقارنة مع الأبحاث الأخرى. ولو أضفنا إلى ذلك طبيعة هذه المواقع، التي لم تكشف عن أية عمارة فعلية حتى الآن، نكون قد بررنا سبب عدم وضوح الرؤيا، عند التعامل مع تلك المواقع. ومما هو مؤكد أن الأجزاء الشرقية من أرض الجزيرة العربية، وساحل دولة الإمارات العربية المتحدة المطل على الخليج، قد شهدا استيطاناً سبق ظهور فخار العُبيد فيهما بعدة قرون، وربما ببضعة آلاف من السنين، وإن كان ذلك الاستيطان خالٍ من عناصر العمارة الفعلية. وعلى الرغم من عدم العثور على آثار من العصر الحجري القديم أو الوسيط، في المناطق الممتدة على شواطئ الخليج، فإن المرحلة، التي يتفق الكثير من الآثاريين على تسميتها بالعصر الحجري المتأخر، تتداخل بشكل غير واضح مع الحضارة الخليجية اللاحقة، التي تعاصر ثقافة العُبيد، بحيث يصعب -في كثير من الأحيان- التمييز بينهما، خاصة في ظل غياب الفخار.

إن اكتشاف فخار العُبيد في شرق المملكة العربية السعودية، كان قد فُسّر من قبل الدكتور عبدالله مصري بأن الجزيرة العربية هي المنشأ الحقيقي لهذه الحضارة، التي امتدت - حسب رأيه - إلى وادي الرافدين، لتتمو وتكبر في موطنها الجديد. ولكن الدراسة، التي أجرتها الدكتورة جون أوتس (التي تم ذكرها من قبل) تضمنت إجراء تحاليل على عيّنات من الفخار العُبيدي، في كل من العراق والمملكة العربية السعودية. وبموجب هذه الدراسة، وتلك التي أجريت مؤخراً من قبل

(dens)، المنتشرة على امتداد ساحل الخليج، وهو غير معروف حتى الآن في المناطق الداخلية إذ تسمى مواقع الألف الخامس هناك بـ (Ubaid related sites). ويدل انحصار هذه المواقع في المناطق الساحلية، على أن مهنة الصيد البحري كانت المهنة المشتركة، التي تجمع بين سكان أعالي الخليج وأسفله. وقد كان لهذه المهنة الأثر غير المباشر في تنشيط التجارة بين المنطقتين، والتي نرى أنها امتدت لتشمل سكان المناطق الداخلية، في حقبتى حفيت وأم النار.

قبل الصيادين وهم واقفون في وسط الماء. وجدير بالقول إن لدينا بعض التحفظ على هذا الاستنتاج، إذ إن قوارب أهل العُبيد، خاصة الصغيرة منها، لا بد إنها كانت معروفة لدى أهل الخليج، الذين كانوا يتعاملون مع البحر منذ أقدم العصور. وقد أثبتت التنقيبات، التي جرت في مواقع مختلفة من شواطئ الإمارات، بغض النظر عن عصورها الزمنية، أن وسيلة العيش الرئيسة كانت الاعتماد على البحر كمصدر للرزق، وأن عظام بقر البحر (dugong) هي الأكثر شيوعاً. ولذا، فمن البدهي أن يكون فخار العُبيد مرتبطاً بمواقع الأصداف (shell mid-

د. وليد ياسين التكريتي - خبير آثار - إدارة الآثار والسياحة - العين - دولة الإمارات العربية المتحدة.

الهوامش:

- ١ - "أريدو" هو الاسم القديم للموقع المسمى أبو شهرين، وتقع على بعد ٢٥ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من مدينة أور، وقد اشتهرت لكونها مركزاً لعبادة الإله "الكي"، إله الحكمة والمعرفة. انظر كتاب أريدو لمؤلفيه فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى وسيتن لويد/ إصدار المديرية العامة للآثار والتراث - بغداد، ١٩٨١.
- ٢ - يذكر البروفيسور بوتس في الهامش ١٠ من كتابه (The Arabian Gulf in Antiquity) بأن أكثر من ٢٠٠ كسرة من الفخار الملون، والكثير من الفخار غير الملون، إضافة إلى السهام الحجرية وقطع البلاستر، التي تحمل طبقات القصب، قد جمعت من على سطح الموقع (قبل تنقيبه من قبل د. مصري). وفي ذلك إشارة إلى إختفائها إلى الأبد بين هوة جمع الآثار.
- ٣ - تعد الدكتور أوتس المرجع الرئيسي في حضارة العبيد، إذ قامت منذ الخمسينات من القرن العشرين بإعداد رسالتها للدكتوراة في هذا الموضوع، ثم أتبعته بالعديد من البحوث منذ ذلك الحين. وقد أشرفت على أكثر من رسالة دكتوراة في الموضوع نفسه. بخصوص ملاحظاتها عن موقع المرخ، أنظر مقالته لعام ١٩٧٦.
- ٤ - على الرغم من أن الكسر الفخارية، التي التقطت من على سطح هذا الموقع عند اكتشافه، كانت قد نسبت إلى عصر العبيد، فقد أكد المؤلف ذلك حين عُرضت عليه، أثناء زيارته للكويت في عام ١٩٨٥. وأود أن أشكر الدكتور فهد الوهبي، الذي نظم لي هذه الزيارة بمعينته شخصياً، وكل من الأستاذين سليمان سعدون البدر ومحمد خير نمر ياسين.
- ٥ - بحث قدمه روبرت كارتر في ندوة الدراسات العربية في أدنبرة ٢٠٠١.
- ٦ - تعرضت الأجزاء الشمالية من هذا الموقع في عام ٢٠٠٢ إلى التخريب، نتيجة لتوسيع التقاطع على الطريق المؤدية إلى ميناء الحمرة.
- ٧ - أطلق أوربمان وجيبيل اسم "ند الوليد" على هذا الموقع، وهو الموقع نفسه، الذي عثر فوقه فيه على كسر من فخار العبيد، وقد اعطاه الرقم ٤، كما جاء في الخريطة المنشورة في مقالة فوكت المشار إليها.
- ٨ - تم ملاحظة هذا الموقع من قبل السيدة شيرلي كي في عام ١٩٨٦، حين كانت إحدى الجرافات تقوم بتسويته فأعلمتني بالأمر حين كنت أنقب في إمارة عجمان. وطلبت بدوري من سائق البلدوزر حين مشاهدتي للموقع إيقاف العمل مؤقتاً حتى استلام التعليمات من البلدية، التي كان العمل يجري لحسابها. وبعد مراجعة رئيس بلدية أم القيوين صدرت التعليمات للبحث عن مكان بديل لنقل الأتربة، وبذلك تم إنقاذ ما أمكن إنقاذه. وقد تمكن المؤلف من العثور على كسرة صغيرة من الفخار العبيدي الملون.
- ٩ - عدم العثور على كسر الفخار لا يعني، بالضرورة، أنه يرجع إلى عصر ما قبل الفخار.
- ١٠ - هذا الموقع ليس الموقع نفسه، الذي تم الكشف عنه من قبلنا والبروفيسور توسي، بل يقع إلى الجنوب منه وكلاهما يقعان غربي طريق عجمان - أم القيوين.
- ١١ - مما يؤسف له أننا لم نتمكن من الإطلاع على المكتشفات الأثرية، التي حصلت عليها البعثة البريطانية العاملة في الجزر التابعة إلى إمارة أبو ظبي.
- ١٢ - اكتشفت هذه المقبرة من قبل البعثة المحلية التابعة لمتحف الشارقة للآثار، برئاسة الدكتور صباح عبود جاسم. وقد نَقَّبها الفريق الألماني من جامعة توبنجن، الذي يرأسه البروفيسور هانس أوربمان، بالإشتراك مع المتحف المذكور. وقد زار الكاتب هذه المقبرة عدة مرات أثناء عملية التنقيب، وناقش مع منقبيها طبيعتها وتاريخها.

المراجع أولاً: المراجع العربية:

- Beech M., Elders J. and Shepherd E. 2000. "Reconsidering the Ubaid of the Southern Gulf: new results from excavations on Delma Island, U.A.E." **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, Vol. 30: 41-47.
- Boucharlat R. and others 1991. "Note on an Ubaid-pottery site in the Emirates of Umm al-Qaiwain", **Arabian archaeology and epigraphy**, Vol. 2: June 1991, pp.65 - 71.
- de Cardi B. 1978. **Qatar Archaeological Report Excavations 1973**, Oxford University Press.
- Carter R., Crawford H., Mellalieu S. and Berret D. 1999. "The Kuwait British Archaeological Expedition to As-Sabiyah: Report's on the first season's work", **Iraq** Vol. LXI: 43-58.
- Flavin K. and Shepherd E. 1994. "Fishing in the Gulf: Preliminary investigations at an Ubaid site, Dalma (UAE)", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, Vol. 24: 115-134.
- Frifelt K., 1989. "Ubaid in the Gulf Area". In: Henricksen and Thuesen (eds.) **Upon this Foundation - The Ubaid reconsidered**. Copenhagen: Museum Tusculanum, pp. 405-415.
- Haerinch E. 1991. "Heading for the Straits of Hormoz, an Ubaid Site in the Emirate of Ajman (U.A.E.)", **Arabian archaeology and epigraphy**, Vol. 2: No. 2: June
- Jasim S. 1996. "An Ubaid site in the Emirate of Sharjah (U.A.E.)", **Arabian archeology and epigraphy**, Vol. 7, No.1, May, pp. 1-12.
- Kapel H. 1973 "Stone - Age Survey". In Biby's **Preliminary survey in East Arabia 1968**, Jutland Archaeological society publications, Volume XII.
- Masry, Abdullah Hassan 1974. **Prehistory in North-eastern Arabia: The Problem of Interregional Interaction**, Published by Field Research Projects, Coconut Grove, Miami, Florida .
- Mery S. and Schneider 1996. "Mesopotamian pottery wares in Eastern Arabia from the 5 th to the 2 nd millennium BC: A contribution of archaeology to the economic history", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, Vol. 26: 79-96 .
- Oates J. 1976. "Prehistory in Northeastern Arabia", **Antiquity**, 50: 24.
- Oates J. 1978. "Ubaid Culture and its Relation to Gulf Countries" in de Cardi's edition **Qatar Archaeological Report - Excavations 1973**, Oxford University Press, 39-52.
- Oates J. et al., 1977. " Seafaring Merchants of Ur?", **Antiquity**, 51.
- Phillips C., forthcoming "Prehistoric middens and a cemetery from the southern Arabian Gulf".
- Potts D. 1990. **The Arabian Gulf in Antiquity**, Vol. 1, Clarendon Press, Oxford
- Prieur A. & Guerin, C. 1991. "Decouverte d'un site pre-historique d'abbatage de dugongs a Umm al Qaiwain, Emirats Arabes Unis", **Arabian archaeology and epigraphy**: 2: 1991.
- Roaf M. 1976. "Excavations at Al Markh, Bahrain", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies** 6.
- Safar F., Mustafa M.A and Loyed S. 1981. **ERIDU**, State Organization of Antiquities and Heritage, Baghdad.
- Smith G. H. 1978. "Two prehistoric sites on Ras Abaruk, site 4". In: de Cardi (eds), **Qatar Archaeological Report**, 80-106.
- Uerpmann M. and Uerpmann H. 1996. "Ubaid pottery in the eastern Gulf- new evidence from Umm al-Qaiwain (U.A.E)", **Arabian archaeology and epigraphy**, Vol. 7: No. 2: November 1996, 125 - 139
- Vogt B., 1994. "In Search for Coastal Sites in Pre-Historic Makkan: mid-Holocene (shell-eaters) in the coastal desert of Ras al-Khaima, U.A.E.", Published in: **From Sumer to Meluhha**, in Memory of George Dales, Jr., edited by Jonathan Mark Kenoyer.